جامعة بنها

كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

المسيحية في معابد جزيرة فيلة أواخر العصر الروماني

إعداد/

أ.د/ السيد رشدي محمد

أستاذ التاريخ اليوناني والروماني

كلية الآداب– جامعة بنها

د/ ملاك فكري توفيق

مدرس التاريخ اليوناني والروماني

كلية الآداب– جامعة بنها

المجلد ٦٢ اكتوبر ٢٠٢٤

https://jfab.journals.ekb.eg/

الملخص :

يتناول البحث المسيحية في معابد جزيرة فيلة أواخر العصر الروماني، حيث تنتشر النقوش والصلبان والرموز المسيحية وبقايا بعض الكنائس في الجزيرة، وعند البحث عن ماهية هذه الرموز وتاريخ ظهورها، اتضح أنها أعمال مقصودة ولها دلالتها في العلاقة بين الوثنية والمسيحية أواخر العصر الروماني على جزيرة فيلة. واستعرض البحث آثار جزيرة فيلة، وبداية ظهور المسيحية على الجزيرة، وأسباب تحويل معبد إيزيس إلى كنيسة ثم مراحل تحويل هذا المعبد، ووصف الكنيسة والتحولات التي حدثت لتجعل المعبد كنيسة صالحة للعبادة، وكذلك بناء كنيسة على معبد حرندوتيس، ووجود بعض الصلبان على جدران معبد حتحور في فيلة، وتعرض البحث أيضًا للنقوش المسيحية الأخرى الموجودة على جزيرة فيلة.

الكلمات المفتاحية:

المسيحية– الوثنية– فيلة– كنيسة– معبد– العصر الروماني– إيزيس– حتحور

المقدمة:

الموضوع الذي نحن بصدد الحديث عنه، هو "المسيحية في معابد جزيرة فيلة في أواخر العصر الروماني"، حيث إن اللافت للنظر لزوَّار جزيرة فيلة وجود بعض الصلبان والمحاريب المسيحية، وبقايا كنائس بُنْيَتْ هناك. وعند سؤال القائمين على هذه الآثار، كان الرد الغالب أنها تصرفات متهورة من بعض المسيحيين المتشددين. ولكن الشكل العام لهذه الأعمال لا يُوحي إطلاقاً أنها أعمال فردية أو تصرفات جماعة من المتشددين، بل هي أعمال مُنظَّمة ومقصودة، وعند الشروع في القراءة وجدت نفسي أمام إشكالية كبيرة وأكثر عمقاً ولها جذور تاريخية ترتبط بالعلاقة بين المسيحيين ومعتنقي الديانات القديمة في كل الإمبراطورية الرومانية من جهة، والعلاقة بين الإدارة الرومانية وعبدة الآلهة القديمة في الولايات الرومانية بصفة عامة ومصر خصوصا من جهة أخرى. وهذه المخربشات والنقوش المسيحية داخل المعابد، وحتى الكنائس التى بُنيت في حرم المعابد ما هي غير حلقة في سلسلة العلاقات المسيحية الوثنية في أواخر العصر الروماني.

ومن هذا المنطلق يحاول الباحث أن يدلو بدلوه في هذا الموضوع، معتمداً على المصادر الأثرية والوثائق البردية اليونانية والكتابات الكلاسيكية وأن يطرح تصوراً لعله يكون أقرب إلى الواقع، ويحاول به أن يضيف جديداً للدراسات التاريخية المعنية بالتاريخ المصري في أواخر العصر الروماني.

وقد سبقت هذه الدراسة بعض الدراسات التى اهتمت بموضوع تحويل المعابد إلى كنائس، ومنها: مقالة الباحث بيير ناوتن (Pierre Nautin) بخصوص تحويل معبد

فيلة إلى كنيسة (La conversion du temple de Philæ en église chrétienne)، ونشرت هذه المقالة في العدد ١٧ لعام ١٩٦٧م، وهناك أيضاً مقالة ديجكسترا "The Fate of The Temples in Late Antique Egypt" التي جمعت عدة أبحاث بشأن آثار الوثنية المتأخرة (The Archaeology of Late Antique 'Paganism') والتى نشرت في ليدن عام ٢٠١١م. والواضح من الإسم أنها تناولت بعض حالات تحول المعابد الوثنية إلى كنائس داخل الإمبراطورية الرومانية بصفة عامة في العصر المتأخر.

أما فيما يخص مصر، فالملاحظ على كل هذه الدراسات أنها اهتمت في المقام الأول بمسألة تحويل معبد إيزيس في فيلة إلى كنيسة، ومن مفهوم أثري بحت دون الخوض في الأحداث التاريخية والدوافع التى أدت إلى ذلك. كما أنها لم تعرض إلى ما حدث على الجزيرة من تطورات في أواخر العصر الروماني.

وبالإضافة إلى المعابد الموجودة على الجزيرة فقد عُثر على عدد من النقوش المسيحية على أحجار الجزيرة، والتى ربما تكون أجزاء من أحجار المعابد استخدمت في بناء كنائس الجزيرة وتناثرت علي الجزيرة أثناء عمليات نقل المعابد من موقعها القديم الي موقعها الحالي. وقد وجب على الباحث تناول هذه النقوش بالدراسة لاستكمال الصورة عن التواجد المسيحي هناك. الأمر الذي أضاف جديداً للدراسات السابقة عن الموضوع.

أولاً: آثار جزيرة فيلة

تقع جزيرة فيلة[١] جنوبي مدينة أسوان، فهي بوابة مصر من الجنوب، ومن هنا تكمن أهمية هذه الجزيرة والمعابد المبنية عليها. وكانت الجزيرة قد غطَّتها المياه عندما تم بناء سد أسوان العالي في الستينات من القرن الماضي. ولحسن الحظ تم إنقاذ معابد الجزيرة من خلال عملية مشتركة بين الحكومة المصرية واليونسكو، وانتقلت من مكانها الأصلى على جزيرة فيلة، وتم تجميعها في الموقع الحالي على جزيرة أجيليكا (Agilika)، التى تبعد مسافة ٥٠٠ م. عن الموقع القديم، بعد أن شكلت الجزيرة لتماثل الموقع القديم[٢]. ويرجع اسم فيلة أو فيلاي إلى اللغة اليونانية القديمة التي تعني (الحبيبة Φιλαι) أو (الحبيبات). أما الاسم العربي لها فهو (أنس الوجود) نسبة لأسطورة (أنس الوجود) الواردة في قصص ألف ليلة وليلة الشهيرة. أما الاسم المصري القديم والقبطي فهو (بيلاك πιλακ) أو (بيلاخ) ويعني الحد أو النهاية، لأنها كانت آخر حدود مصر في الجنوب وبوابة مصر من نهر النيل[٣].

وقد أقيم عدد كبير من المعابد فوق جزيرة فيلة في العصور القديمة، ولعل أقدمها تلك المعابد التي يرجع تاريخها إلى عهد الملك المصري تحتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ ق.م.)، وفي القرن الرابع قبل الميلاد بنى الملك نخت نبف (٣٧٨-٣٤١

---

[١]- انظر الملحق رقم ١.

[٢]- صلاح السيد عبد العال: "أثر مشروعات المياه على الآثار المصرية معبد فيله نموذجًا"، *مجلة كلية الآداب- جامعة المنصورة*، عدد ٦١، أغسطس ٢٠١٧، ص ٥٠٤ وما بعدها.

[٣]- عزت قادوس: *آثار مصر في العصرين اليوناني والروماني*، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٤٠٩-٤١١.

ق.م) معبداً ضخماً لم يعد موجودا الآن، وعلى أثره شيّد الملك بطليموس الثاني معبده الكبير، وهو المعبد الذي خُصص لعبادة الإلهة إيزيس[١]. ثم تبعه كثير من ملوك البطالمة والأباطرة الرومان حتى ازدحمت جزيرة فيلة بالمعابد.

وشُيِّدت معابد فيلة في الأصل لعبادة الإلهة المصرية إيزيس بطلة الأسطورة المصرية القديمة، التى انتشرت عبادتها بشكل كبير في مصر القديمة، وامتدت إلى شمال أفريقيا وبلاد اليونان وروما وفى مختلف أنحاء العالم القديم[٢]. واكتسبت جزيرة فيلة فى كل القرون القديمة، وبخاصة في العصرين اليوناني والروماني، مكانة مميزة في الحياة الدينية لدرجة أن حشدا كبيرا من أتباع تلك العبادة كانوا يجتمعون سنوياً لإحياء ذكرى قصة حب الإلهة إيزيس والإله أوزوريس، وكذا قصة موت وبعث الإله أوزوريس.

وتمَّ بناء المعبد الكبير الذي يشغل ربع مساحة الجزيرة – معبد إيزيس– خلال القرن الثالث قبل الميلاد، ثم تعاقب الملوك البطالمة على بناء كثير من عناصره المعمارية، ووصولاً إلى معبد الإلهة حتحور (Hathor)، حيث يعد آخر أثر بني في العصر البطلمي، واستكمل بنائه قبل عام ١١٦ ق.م بواسطة الملك بطلميوس الثامن، وأضاف بطالمة آخرون نقوشاً إلى فيلة، والتي تعدُّ من روائع المعبد[٣].

---

[١]– جيمس بيكي: *الآثار المصرية في وادي النيل*، ترجمة شفيق فريد ولبيب حبشي، القاهرة، ١٩٨٧، ج ٥، ص ص ٣٢–٤٣.

[٢]– آلان بومان: *مصر ما بعد الفراعنة، من الإسكندر إلى الفتح العربي*، ترجمة السيد جاد والسيد رشدي ورضا رسلان، الاسكندرية، ٢٠١٢، ص ص ٢٩٨–٢٩٩.

[3]-Porter, D., Moss, R.: *Topographical, Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs, and Paintings, VI, Upper Egypt*, Oxford, 1991, pp. 211-233.

وعندما دخل الرومان مصر، حاولوا تجميل هذه الجزيرة المُقدَّسة، فبنى الإمبراطور أوغسطس (Augustus) معبد في الطرف الشمالي الشرقي لفيلة[١]، خُصص لعبادة الإله (حورس). أما الإمبراطور تيبيريوس (Tiberius) وآخرون، فقد أضافوا صروحاً ونقوشاً، كما بنى الأباطرة كلاوديوس (Claudius) وتراجانوس (Trajanus) وهادريانوس (Hadrianos) ودقلديانوس مبان جديدة بالجزيرة، استمر العمل فيها حتى القرن الرابع الميلادي[٢]. ومنها صفوف أعمدة رومانية ومقصورة تراجانوس، ومعبد صغير للإله النوبي (ماندوليس).

ويجب أن نشير هنا لوضعية جزيرة فيلة الدينية والاقتصادية، حيث كانت تمثل البوابة الجنوبية لمصر، وأول محطة مصرية لكل خطوط التجارة الواردة من الجنوب إلى داخل مصر عن طريق نهر النيل منذ أقدم العصور، وكان كهنة هذه المعابد هم المسيطرون اقتصادياً وفكرياً على عقول السكان المحليين بمنطقة النوبة السفلى وحتى الشلال الثاني[٣]، بل وكانت عبادة الإلهة إيزيس هي أكبر معاقل الديانة المصرية القديمة في النوبة كلها، وقد أدى ذلك إلى امتداد تلك العبادة على مدى قرون عديدة مُتحدَّية بذلك كل الآلهة والديانات الأخري المتواجدة هناك، بما فيها الديانة المسيحية التى انتشرت بشكل كبير، وحتى مرسوم الإمبراطور ثيودوسيوس الأول الذى أصدره عام ٣٩١ م، والذى يرفض فيه ممارسة عبادة الآلهة القديمة، ويعتبر المسيحية هي

1- *Ibid*.: p. 253.

2- Porter, Moss: *op. cit*., pp. 252-253.

٣- جيمس بيكي: *المرجع السابق*، ج ٥، ص ٤١.

الديانة الرسمية الوحيدة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، لذلك لم يكن من السهل تحول النوبة إلى المسيحية، وبخاصة في ظل وجود معبد إيزيس وكهنته[١].

ثانياً: بداية ظهور المسيحية على الجزيرة

وأمام هذا كله، كان من الضروري على الإدارة الرومانية فرض السيطرة الفكرية والسياسية على الجنوب، لكي يضمنوا ولاء سكان النوبة لهم، وكانت الديانة المسيحية هي سبيلهم في السيطرة على عقول وقلوب سكان الجنوب، فنشطت حركة التبشير بالمسيحية تحت رعاية الأباطرة الرومان وزوجاتهم؛ حتى انتشرت المسيحية بشكل واسع ومهدت الطريق أمام الحكومة الرومانية المسيحية لاتخاذ قرار غلق معابد الجنوب، وتحويل بعضها إلى كنائس.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الديانة المسيحية حازت على قبول لدى بعض المصريين في الجنوب في ظل وجود الديانة المصرية القديمة، وأسست الكنائس في

1- Bagnall, R. S.: *Egypt in Late Antiquity*, Princeton University Press, 1996, p. 147.

شهد التاريخ المصري في العصرين البطلمي والروماني سيطرة كاملة من كهنة فيلة على سكان منطقة النوبة، وكانت ثورة الأخوين (حر ون نفر)، و(عنخ ون نفر)، وكانا من كهنة النوبة، في عصر الملك بطلميوس الخامس، خير دليل على ذلك، حيث استطاعا فصل منطقة النوبة عن باقي مصر لمدة عشرين عام، ولم يقضوا عليها إلا في عهد بطلميوس السادس.

Clarysse, W.: "The Great Revolt of the Egyptians (205–186 BC)", *UC Berkeley*, 2004, pp. 1-13; O'Neil, J. L.: "The Native Revolt against the Ptolemies (206-185 BC): Achievements and Limitations, *Chronique d'Egypte*, 87, Issue 173, 2012, pp. 133-134; Manning, J. G.: Revolts under the Ptolemies: A Paleoclimatological Perspective‖, *in Revolt and Resistance in the Ancient Classical World and the Near East*, Edited by Collins, J. J. & Manning, J. G., Leiden, Boston, 2016, pp. 160-161.

مناطق عديدة، بما فيها جزيرة فيلة نفسها، حيث نجدها جنباً إلى جنب مع المعابد المصرية قبل قرار غلق معبد إيزيس، حيث إنشأت بعض الكنائس في القرن الخامس الميلادي. ولدينا إشارة في وثيقة بردية يونانية ترجع إلى ما بين عامي ٤٢٥-٤٥٠م، وهي التماس مُقدَّم إلى حاكم النوبة، به إشارة إلى جنود رومان كانوا يقومون بحراسة جزيرة فيلة، حيث كانوا يطلقون علي هذه المنطقة عبارة (كنائس الله المُقدَّسة في فيلة (ταῖς ἐν Φιλῶ(ν) ἁγίαις τοῦ Θεο̣[ῦ] ἐκκλησίαις)[١].

ونفهم من هذه الجملة -حتى وإن كانت بها بعض المبالغة- أنه كانت ثمة تواجد للكنائس المسيحية على جزيرة فيلة مع أوائل القرن الخامس الميلادي، ويقوم بحراستها جنود الإدارة الرومانية، والذين أطلقوا عليها (كنائس الله المُقدَّسة). ومعنى ذلك أن الكنائس المسيحية كانت موجودة بالفعل في فيلة قبل التفكير في غلق معبد إيزيس وتحويله إلى كنيسة. ويذكر أيضاً أنه كانت هناك كنيستين كبيرتين على الجزيرة: واحدة في الشرق وأخرى في الغرب، وبالنسبة للكنيسة الشرقية، فحدثنا أحد الباحثين أن بقايا الكنيسة كانت ما تزال باقية حتى أعمال إنقاذ الجزيرة، حيث عثر على أساساتها وبعض أحجارها المستقطعة من بقايا معابد مصرية قديمة، حيث وُجد على أحد أحجارها خرطوش محفور بإسم الملك أخناتون، ولسوء الحظ أنه أثناء عمليات الإنقاذ تركت هذه البقايا أسفل مياه النيل[٢]، أما الكنيسة الأخرى وهي الكنيسة الغربية فسوف نتحدث عنها فيما بعد.

1- SB: *Sammelbuch griechischer Urkunden aus Aegypten*, ed. by Preisigke F., Bilabel F., E. Kiessling, and H.-A. Rupprecht, Strassburg-Berlin-Leipzig-Heidelberg-Wiesbaden, 1915 ff, XX, 14606, LL. 10-11.

2- Säve-Söderbergh, T.: *Temples and Tombs of Ancient Nubia. The International Rescue Campaign at Abu Simbel, Philae and Other Sites*, London, 1987, pp. 151-86.

كما تم بناء عدد كبير من الكنائس المسيحية في أواخر القرن القرن الخامس الميلادي في منطقة النوبة بصفة عامة، وكانت تبنى في وجود المعابد المصرية، ولكن بعيداً عنها[١]. ذلك بالاضافة إلى بعض الأديرة التى انتشرت في المناطق الصحراوية والريفية داخل مصر بصفة عامة وفي منطقة النوبة بخاصة، والتى أُسست في القرون من الخامس وحتى السابع الميلادي[٢]، وقد شاهد الباحث بعض الصور القديمة المحفوظة داخل متحف النوبة بمدينة أسوان، تصور بقايا وأطلال بعض الأديرة الموجودة في منطقة النوبة، والتى يرجع تاريخها إلي ما بين القرنين الخامس والسابع الميلاديين، والواضح من الصور أنها كانت مبنية من الطوب اللبن أو الحجر الرملي صغير الحجم.

ولكن يبدو أن هذا الأمر لم يمنع سكان منطقة النوبة الذين يعبدون الآلهة المصرية من ممارسة عبادة ديانة آباءهم، حيث وافتنا الوثائق البردية ببعض نماذج من سكان الجنوب من عبدة الآلهة المصرية القديمة، وأغلب الظن أن مرجع ذلك إلى أن انتشار المسيحية لم تكن بالقوة أو السرعة التى تجعل كافة السكان يتحولون سريعاً إلى الديانة الجديدة، حيث ظل بعضهم يقاوم هذا المد المسيحي حتى ولو بالقوة، وبمساندة بعض القوى المحلية التى كانت على خلاف سياسي مع الإدارة الرومانية. ومن هنا كان التفكير في غلق المعابد وتحويلها إلى كنائس، وهو ما يجعل من عملية التحويل هنا – حسبما نعتقد – ذات هدف سياسي أكثر منه ديني، وسوف نتناول هنا

1- Weigall, A.E.P.: *A Report on the Antiquities of Lower Nubia,* Oxford, 1907, p. 54.

٢ – ملاك فكري: النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة في مصر في العصر الروماني المتأخر، *رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب–جامعة بنها*، ٢٠١٢، ص ص ١٠ – ٣٦.

التحولات التى حدثت على جزيرة فيلة في العصر الروماني المتأخر، بداية بتحويل معبد إيزيس إلى كنيسة، ومعبد حرندوتيس ووصولاً إلى النقوش والصلبان المسيحية المتشرة في أرجاء الجزيرة.

ثالثاً– معبد إيزيس

أ – أسباب تحويل المعبد

أما بخصوص تحويل معبد إيزيس في فيلة إلى كنيسة، فأغلب الظن أنه كان لأسباب سياسية أكثر منها دينية، حيث كانت الإدارة الرومانية تتعرض لهجمات القبائل البليمية (Blemmyes)[١] المقيمة في منطقة النوبة وأجوارها، والمعروف عنهم بأسهم في الحروب وتمسكهم الشديد بآلهتهم ومقاومتهم لانتشار المسيحية، ولذلك كانوا ينتهزون فرصة انشغال الإدارة الرومانية بمشاكلها الداخلية أو الخارجية حتى يغيروا على أراضي السكان في النوبة[٢]، ولدينا إشارات عديدة في المصادر البردية

[١] كانت البليمي (Blemmyae اللاتينية) مملكة قبائل بدوية، موجودة من عام ٦٠٠ قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي في النوبة. وذكرت بشكل كبير في مصادر العصر الروماني المتأخر حيث استخدمهم الإمبراطور دقلديانوس كمرتزقة نوبية تعمل في الواحات الصحراوية الغربية لحماية أسوان والحدود الجنوبية للإمبراطورية؛ السيد محمد عمار: العلاقات بين مصر وبلاد النوبة خلال العصرين البطلمي والروماني، *رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية اللغة العربية*، جامعة الأزهر، ٢٠١٢، ص ص ٧٢–٧٩.

[٢] ذكرت المصادر أن الأديرة المحيطة بالمنطقة كانت تستقبل اللاجئين من المسيحيين الفارين من هجمات البلميين، حيث ذكر أن دير الأنبا شنودة المعروف بالدير الأبيض، استقبل في القرن الخامس قرابة عشرين ألف من اللاجئين.

López, A.G.: *Shenoute of Atripe and the Uses of Poverty*, ProQuest, Ann Arbor, 2010, p.109.

والكلاسيكية تتحدث عن حملات القبائل (البليمية) على أرضي الناس وأملاك الحكومة الرومانية، بداية من منتصف القرن الثالث الميلادي، في عهد الإمبراطور ديكيوس حيث كانوا يهاجمون الحدود الجنوبية لمصر وذلك بسبب ضغط مملكة أكسوم عليهم[١]، ووصولاً إلى أواخر القرن الخامس الميلادي، حيث بدأت الحروب الثلاثة التى كانت سبباً في تحوبل معابد فيلة إلى كنائس، وانتهت بإندحار البليميين وعدم معاودتهم الهجوم على الأهالي. والحرب الأولى: مؤرخة بعهد الإمبراطور أناستاسيوس الأول (Anastasius I)[٢] (حكم بين عامي٤٩١ م.–٥١٨ م.)، عندما استغلوا انشغال الرومان بحربهم مع (الفرس) للتوغل داخل الأراضي المصرية، ومهاجمة ممتلكات الأهالي. وانتهت الحرب بمعاهدة صلح بين الطرفين، نصت على انسحاب البليميين[٣]. والثانية: حدثت فيما بين أعوام ٥٤٠–٥٤٣ م، وذلك على أثر معاودة

---

[١] مصطفى العبادي: "الحدود الجنوبية لمصر في العصرين البطلمي والروماني بين التأمين والمصالح الاقتصادية والدبلوماسية الدينية، الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ" *أعمال ندوة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالأشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة (٢٠–٢١ ديسمبر ١٩٩٧)*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٢١.

[٢] فلافيوس أناستاسيوس أو أناستاسيوس الأول، كان إمبراطوراً بيزنطياً حكم من ١١ أبريل ٤٩١ م حتى وفاته في ٩ يوليو ٥١٨ م. في الوقت الذي توفى فيه زينون عام ٤٩١ م، رُفع أناستاسيوس على عرش الإمبراطورية الرومانية الشرقية، بإختيار أرملة زينون، التي تزوجته بعد فترة قليلة بعدما أصبح الإمبراطور.

Gregory, T. E.: "Anastasios I", *The Oxford Dictionary of Byzantium*, ed. Kazhdan Alexander, Oxford, 1991, pp. 1206-1207.

[٣] السيد محمد عمار: *المرجع السابق*، ص ص ٨٠–٨١.

قبائل البليمي الهجوم على النوبة. والثالثة: كانت بعد ذلك بعقدين تقريباً، فيما بين ٥٦٣-٥٦٨ م[١].

وقد اتفق الباحثون على أن قرار إغلاق معبد إيزيس في فيلة كان جزءاً من عمل عسكري ضد قبائل البليميين قبيل الحرب البليمية الثانية، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى الدور الذي لعبه كهنة فيلة في تحريض الأهالي على الإدارة الرومانية. وحددوا لنا تاريخ إغلاق المعبد في الفترة بين ٥٣٥ م و٥٣٧ م، حيث إن الإمبراطور جستنيان الأول (٥٢٧-٥٦٥م) (Justinian I)، قد وافق على إغلاق المعبد باعتباره متصلاً بحملة عسكرية ضد البليميين، الذين كانوا هم الأكثر ممارسة للشعائر المصرية القديمة داخل معبد إيزيس في جزيرة فيلة في تلك الفترة، ولذلك كان يجب منعهم من التواجد في تلك المنطقة[٢]. وكان الإمبراطور على علم بمدى أهمية هذا المعبد بالنسبة للبليميين، الذين كانوا يحجون إليه، وتعد المعبودة إيزيس هي الإلهة الرئيسية لهم، التي يخوضوا الحروب من أجلها[٣].

ويؤكد على ذلك ما ورد إلينا على لسان المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس (Procopius) القيصري (عاش في الفترة بين عامي ٥٠٠-٥٦٠ م.) حينما ذكر أن الإمبراطور الروماني جستنيان الأول، أرسل قائده نارسيس (Narses) – قائد الحامية العسكرية في الجنوب والمسؤول عن الحدود الجنوبية لمصر- إلى جزيرة فيلة بين عامي ٥٣٥-٥٣٧ م. من أجل تدمير المعبد والقضاء على عبادة الآلهة القديمة نهائياً. وبالفعل بدأ نارسيس هذا العمل بغلق المعبد وأوقف ممارسة شعائر الديانة

[1]- Dijkstra, J. H.: *Religious encounters on the southern Egyptian frontier in Late Antiquity (AD 298-642)*, University of Groningen, 2005, p. 154.

[2]- Dijkstra: *op. cit*., p. 154.

[٣]- مصطفى العبادي: *المرجع السابق*، ص ص ١٢٥-١٢٩.

المصرية القديمة فيه، ووضع كهنته تحت الحراسة وأرسل بعض تماثيل الآلهة المصرية من داخل المعبد إلى القسطنطينية، ودمر بعضها الآخر، وأعلى شأن الصليب بداخله، ووضع حداً لعبادة الآلهة المصرية على الحدود الجنوبية[١]، ولكن القائد نارسيس وجد أنه من المستحيل تدمير المعبد بالكامل، نظراً لضخامة حجمه وأحجاره، وما يتطلبه من أموال وأيدي عاملة كثيرة، إلى جانب ما قد تسببه هذه الإجراءات من اضطرابات لدى السكان المحليين، نظراً لمكانة المعبد الدينية والاقتصادية لدى أهل النوبة كلها. ولذلك فإنه قرر في بداية الأمر غلقه واستخدامه كمقر للقيادة العسكرية هناك وذلك أثناء الحرب ضد القبائل البليمية (الحرب البليمية الثانية)، التى كانت تلوح في الأفق بمناوشات قبائل البليمي[٢]، وفي الوقت نفسه تمهيداً لعملية التحويل التى لم تكن قد بدأت بعد، ولو كانت عملية التحويل تمت متزامنة مع أحداث الغلق مباشرة لكان قد ذكرها المؤرخ بروكوبيوس، حيث إنه لم يشر لها في معرض حديثه عن غلق المعبد، وهو ما سوف نتحدث عنه لاحقاً.

وتزامناً مع هذه الأحداث، تسابق كل من الإمبراطور جستنيان الأول وزوجته الإمبراطورة ثيودورا (Theodora) على التبشير بالمسيحية بين قبائل النوبة –كل

---

[1]-Procopius: *History of Wars*, Translation by H.B. Dewing, L.C.L., London, 1961, p. 185.

ذكر بروكوبيوس أن هذه الإجراءات تشابهت مع كثير من المعابد التى أُغلقت في بعض البلدان الأخرى في حوض البحر المتوسط.

[2]-Nautin P.: "La conversion du temple de Philæ en église chrétienne", *Cahiers archéologiques*, Issue 17, 1967, pp. 4-7.

كانت فيلة هي المقر الرئيس لعبادة البليميين، حيث كانوا يعبدون إيزيس ويمارسون طقوسهم داخل المعبد، وكان غلق المعبد والاستيلاء عليه، ضربة قوية من الإدارة الرومانية.

لمذهبه–، لكي يهيئ الساحة لقبول فكرة التخلص من المعابد المصرية ومنع ارتيادها. فنجح مبعوث ثيودورا في استمالة قبائل النوباديين (Nobadian)[١] إلى المسيحية على مذهب الطبيعة الواحدة، بينما حارب جستنيان قبائل البليميين إلى أن فرض عليهم المذهب الرسمي (الملكاني)[٢]. وبهذا أصبح المناخ مواتياً لتحويل معبد إيزيس في فيلة إلى كنيسة.

ب – مراحل تحويل المعبد

يعتقد الباحثون أن تحويل معبد إيزيس في فيلة تم على مرحلتين، الأولى كانت بين عامي (٥٣٥–٥٣٧ م) وتم فيها الاستيلاء على المعبد وغلقه واستخدامه كمقر للقيادة العسكرية هناك، والمرحلة الثانية هي إجراءات تحويله إلى كنيسة والتعديلات الانشائية بداخل المعبد، وقد استغرق ذلك عدة سنوات، بدأت بنحت الصلبان على جدران المعبد وجوانبه وهو ما يطلق عليه إصطلاحاً "إعلاء شأن الصليب" وذلك بين عامي ٥٣٥–٥٣٧ م. وتحت إشراف البطريرك ثيودوروس (Theodoros) – الذي شارك الإدارة الرومانية في صدامها مع سكان النوبة – ثم تلاها بناء الكنيسة داخل المعبد، ويحدثنا المؤرخ الروماني بروكوبيوس أن الإمبراطور جستنيان هو الذي طلب من ثيودوروس الاشراف على عملية التحويل[٣].

---

[١]– سكنوا في البداية في (بويضة) في (كردفان)، وتأثروا بالحضارة المروية قبل أن يصلوا إلى وادي النيل، وكانوا يقومون بغارات سلب للقوات الرومانية في الواحات الخارجة، ومن الصعب تحديد مكان ثابت لهم، حيث وصل بعض الباحثين أنهم وصلوا إلى ليبيا؛ لُكلان، ج.: *إمبراطورية كوش، نباتا ومروي، تاريخ أفريقيا العام*، المجلد الثاني، حضارات أفريقيا القديمة، اليونسكو، ١٩٨٥، ص ٣٠٠.

[٢]– مصطفى العبادي: *المرجع السابق*، ص ١٢٦.

[3]- Procopius: *op. cit.*, p. 173.

وعلى الرغم من رمزية هذا الإجراء، إلا أن كثير من الباحثين المحدثين رأى أن هذا الإجراء – بمعنى إقامة الصليب – هو تحول بالفعل في طبيعة المبنى، وبالتالي اعتبروا أن المعبد أصبح كنيسة منذ ذلك التاريخ، بل وذهب أحدهم إلى الاعتقاد بأن إقامة الصليب داخل معبد إيزيس هو اللحظة الحاسمة في حملة الإمبراطورية الرومانية المتعمدة ضد عبادة الآلهة في جنوب مصر، والتي تسببت في تحويل النوبة بالكامل إلى المسيحية(١). وعلى الرغم من ذلك لا يمكننا أن نقبل هذه المقولة، فعملية التحول لابد أن تكون كاملة، بحيث تشتمل على بقية العناصر المعمارية بما فيها المحراب والحنية ومقاعد المصلين وغيرها من معالم الكنيسة المتعارف عليها. وتؤكد المصادر القديمة أن أعمال التحول الكامل لمعبد إيزيس في فيلة إلى كنيسة كانت قد بدأت بالفعل من عام ٥٣٥ م. أو ٥٣٧ م. واستمرت حتى استكملت عام ٥٦٧ م، وذلك إبان الصراع الدائر بين الإدارة الرومانية وقبائل البليميين ومن يتعاونون معهم من سكان النوبة الذين كانوا على دين آبائهم(٢). وأغلب الظن أن عملية التحول استكملت تماماً في عام ٥٦٧ م.، وذلك بإعداد المحراب والحنية والمذبح ومقاعد المصلين كما سنراه في المخلفات الأثرية، ومنذ ذلك الوقت كان معبد إيزيس في فيلة قد تحول إلى كنيسة تحت اسم كنيسة القديس ستيفن (Stephen)(٣).

---

[1]-Nautin: *op. cit*: pp. 6-8.

[2]-Baumeister, T.: "Das Stephanuspatrozinium der Kirche im ehemaligen Isis-Tempel von Philä", *RQA*, 81, 1986, p. 192.

[3]- Dijkstra: *op. cit*., p. 155.

يقال أنه أول شهيد في المسيحية، وهو واحد من أول سبعة شمامسة في القدس، قتل بين عامي ٣٤ – ٣٥ م.، حيث أتهمه اليهود بأنه سب النبي موسى، وسمي في الكنيسة المصرية بالشهيد إسطفانوس.

وتأكيداً على ذلك لدينا نقش باللغة القبطية عُثر عليه أثناء أعمال ترميم الرصيف المحيط بالجزيرة، ويرجع إلى ١٤ ديسمبر عام ٥٧٧ م، نحت بمناسبة بناء رصيف في الجنوب الشرقي من الجزيرة، كجزء من الأعمال النهائية في أعمال التحول في فيلة، ونقرأ فيه:

بمباركة سيدنا الرب، وسيدنا الأكثر تقوى، فلافيوس جستنيان وإليا صوفيا (Αἰλίας Cοφίας)، والأباطرة الخالدين تيربيوس قيصر، قنسطنطين الجديد، وبواسطة أعمال ثيودورا الشهيرة، في العام الأول من أوغسطية طيبة، قد تم بناؤه بفضل صلوات الشهداء المقدسين وسيادة الأسقف أبا ثيودوروس، من خلال حماسة وخير ميناس، من مكتب الدوق، في الثامن عشر من شهر كيهك، الإحتفال الحادي عشر، من أجل الخير[١].

ونفهم من هذا النقش أن جزيرة فيلة في أواخر عام ٥٧٧ م. قد أصبحت مسيحية بالكامل، حيث إن أعمال الترميم والإضافات تمت بيد مسيحية، فكل الأسماء الواردة في هذا النقش مسيحية. وكل المنشأت والنقوش التى سوف نراها بعد ذلك

1- I. Philae II: *Les inscriptions grecques et latines de Philae. Tome II: Haut et Bas Empire*, ed. Bernand É., Paris 1969, II, N0. 216, " τῇ τοῦ δεσπότου <θ>ε(ο)ῦ προνοίᾳ καὶ τύχῃ τῶν εὐσεβεστάτων ἡμῶν δεσποτῶν Φλα(βίου) Ἰουστίνου καὶ Αἰλίας Cοφίας αἰωνίων Αὐγούστων καὶ αὐτοκρατόρων καὶ τοῦ θεοφυλάκτου Καίσαρος Τιβερίου Νέου Κωνσταντίνου καὶ φιλανθρωπίᾳ Θεοδώρου τοῦ πανευφήμου δεκουρίωνος καὶ δουκὸς καὶ αὐγουσταλίου τῆς Θηβαίων χώρας τὸ α΄ ἀνεκτίσθη τὸ τεῖχος τοῦτο εὐχαῖς τῶν ἁγίων μαρτύρων καὶ τοῦ ὁσιωτάτου ἄββα Θεοδώρου ἐπισκ(όπου) ἐκ σπουδῆς καὶ ἐπιεικίας Μηνᾶ τοῦ λαμπρ(οτάτου) σιγγουλαρίου τῆς δουκιανῆς τάξεως, ἐν μηνὶ Χοίακ ιη΄, ἰνδικ(τίωνος) ια΄, ἐπ᾽ ἀγαθ<ῷ>. ☩"

التاريخ مسيحية. وربما استمرت بعض الإضافات المسيحية على المعبد وجزيرة فيلة كلها إلى ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلادي(١).

ولكي تتضح الصورة كاملة أمام القارئ يجب أن نشير هنا إلى وضعية منطقة النوبة الدينية في ظل هذه الإجراءات السابقة، فتحويل معبد إيزيس في فيلة إلى كنيسة وبرغم ما يحمله من معاني مهمة جداً بشأن المتغير الديني الجديد وهو الديانة المسيحية، إلا أن تلك المنطقة وحتى تاريخ تحويل المعبد إلى كنيسة، كانت ما تزال تضم بين ثناياها بعض المصريين الذين ظلوا حتى ذلك التاريخ متمسكين بالديانة المصرية القديمة، ويتضح لنا ذلك من خلال بعض الوثائق البردية التى ترجع إلى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، أي بعد فترة حكم الإمبراطور جستنيان نفسه وغلق معبد إيزيس في فيلة. فنجد في بردي ماسبيرو (Maspero) قرابة خمس وثلاثين وثيقة، تتضمن إشارات واضحة لوجود بعض الأهالي الذين مازالوا يعبدون الآلهة المصرية، ودخلوا في صدامات مع بعض المسيحيين المقيمين في صعيد مصر، حيث نقرأ في إحدى هذه الوثائق، ترجع إلى عام ٥٦٧ م.، وهى شكوى من مدينة أومبوى (Omboi)(٢)، قدمت إلى حاكم إقليم طيبة في العام الثاني من ولاية أثناسيوس (Athanasius)، من مستشاريه، بخصوص رجل لم يُذكر اسمه في

[1] Dijkstra: *op. cit.*, p. 155.

[٢] هي (كوم أمبو) الحالية، التابعة لمحافظة أسوان، وتقع على نهر النيل شمال مدينة أسوان مسافة ٤٥ كم، وبها معبد كوم أمبو الشهير الذي خصص لعبادة (حورس) و(سوبك)؛ عزت قادوس: *المرجع السابق*، ص ٣٨١.

الوثيقة، ولكنهم كانوا يصفونه "بآكل اللحوم النيئة" (ωμοφαγος)[١]. وهي بخصوص سرقته هو وعصابته لمزارع العنب هناك، حيث كانوا يصفونه بأنه جعل حياته وأعماله شريرة، ولم يهتم بالمسيحية والدين، وكرس حياته للأضرحة والتماثيل الخشبية، كما أنه لم يتصرف بالطريقة التى يجب أن يقوم بها المسيحيون، بل ناشد البليميين البرابرة (τοις βαρβαροις ητι Βλεμυσι) أن يجددوا المقدسات (τα ιερα) الوثنية[٢]، ويقصد بها معابدهم القديمة. وكانت الديانة المصرية القديمة تعتبر في ذلك الوقت تهمة لبعض الناس، تبعاً للقرارات الإمبراطورية السابق ذكرها والتى ترجع إلى أواخر القرن الرابع الميلادي.

ويعتقد الباحث أن تهمة عبادة الآلهة القديمة هنا لم تكن أكثر من تهمة إضافية، حاولوا بها كسب تعاطف الإدارة الرومانية، حيث إن الشكوى تتمحور في معظمها حول سرقة مزارع العنب، كما أن القرارات الإمبراطورية كانت تمنع ارتياد المعابد، ولم تكن المسيحية قد فرضت على السكان في هذه الأرجاء بعد. ولكن أمام الصدامات المتكررة في مصر العليا بين المسيحيين وعبدة الآلهة المصرية، أخذ الأهالي يقحمون مسألة الديانة في أمورهم الخاصة، وبخاصة عندما وجدوا أن الإدارة الرومانية في ذلك الوقت تنحو نحو نشر الديانة المسيحية والقضاء على الديانة المصرية القديمة[٣]. وما

1- P. Cair. Masp.: *Papyrus grecs d'époque byzantine,* ed. Maspero, Tome I, Cairo, 1911, No. 67004, L.14.

2- *P. Cair. Masp.*: I, No. 67004, L. 8.

٣- لم تكن مسألة إقحام الدين في المشكلات المجتمعية من الأمور الجديدة على المجتمع المصري في تلك الحقبة التاريخية، ففي زمن اضطهاد المسيحيين، كانت المسيحية أيضاً تهمة، حيث وافتنا كثير من الوثائق البردية بأمثلة عديدة عن الصاق تهمة المسيحية لمن على خلاف معهم. *P. Oxy.*: *The Oxyhrynchus Papyri, Egypt Exploration Fund*, ed. By Geenfell B.P., Hunt, A. and Others, 1898 ff, Nos. 1464; 2601; 3035.

أشبه اليوم بالبارحة، فمنذ عدة قرون كانت المسيحية هي التهمة التى تقحم في مشاكلهم الخاصة، وقت اضطهاد المسيحية.

ونفهم من ذلك، أن المسيحية كانت تلقى مقاومة عنيفة في مصر العليا، حيث ذكر بعض الباحثين أن معتنقي عبادة الآلهة المصرية القديمة هناك كانوا يقصون لبعضهم بعض القصص المسيئة المرتبطة بالديانة المسيحية من أجل تشويهها، بهدف إظهار معتنقيها بصورة سيئة، والحد من انتشارها هناك، كما أنهم كانوا يجددون المعابد المتهدمة أول بأول من أجل الإبقاء على الديانة المصرية القديمة[1]، ذلك بالطبع إلى جانب المقاومة الحربية التى سبق ذكرها.

ولعل ذلك هو ما دفع الإدارة الرومانية إلى الإسراع في تحويل معبد إيزيس في فيلة إلى كنيسة، حيث كان يعتبر آنذاك واحداً من أكبر معاقل الديانة المصرية القديمة في مصر العليا وفي النوبة كلها، فرمزية هذا المعبد كانت أكبر دليل على وجود الديانة المصرية القديمة أو اندثارها، كما أدركت الحكومة الرومانية أن غلق المعبد ومنع ممارسة الطقوس به لم تكن خطوة كافية لمنع الديانة المصرية القديمة، فكما رأينا أن الديانة المصرية القديمة ظلت موجودة حتى بعد غلق المعبد، ومن ثم بدأت

1- Dijkstra, J. H.: " A World Full of the Word. The Biblical Learning of Dioscorus", in *Learned Antiquity: Scholarship and Society in the Near East, the Greco-Roman World, and the Early Medieval West*, eds. MacDonald, A.A., Twomey, M.W.,Reinink, G.J., Leuven, 2003, pp. 143-4; Dijkstra, J. H.: "A Cult of Isis at Philae after Justinian? Reconsidering P.Cair.Masp. I 67004", *ZPE*, 146, 2004, p. 149; Fournet, J.: "Entre document et littérature: la pétition dans l'Antiquité tardive", in *La pétition à Byzance*, ed. Feissel, D., Gascou, J., Centre de Recherche d'Histoire et Civilisation de Byzance, Monographies, 14, Paris, 2004, pp. 69-70.

إجراءات تحويل المعبد إلى كنيسة كخطوة محورية في استكمال نشر المسيحية ومنع عبدة الآلهة المصرية من التردد عليه.

وخلاصة القول: إن مراحل تحويل المعبد إلي كنيسة بدأت منذ أن قرر الإمبراطور جستنيان الأول غلق المعبد في القرن السادس الميلادي، علي يد قائده نارسيس وبمباركة البطريرك ثيودوروس وانتهت عام ٥٦٧ م، ونستطيع أن نطمئن لو قلنا أن تحويل هذا المعبد هو أهم عمل تبشيري لمنطقة النوبة بالكامل، نظراً لأهمية المعبد التى سبق ذكرها، حيث إن ثيودوروس نفسه شارك في عملية التحويل، وهذا ما شجعه فيما بعد على الإشراف على استخدام بعض معابد أخرى في منطقة النوبة ككنائس[١].

ج – وصف الكنيسة والتحولات

أما بخصوص وصف الكنيسة والتعديلات الأثرية والنقوش المسيحية الموجودة داخل المعبد، فقد اعتمد الباحث في ذلك على مشاهداته الخاصة للملامح الأثرية والنقوش التي تبين مدى التعديل الذي طرأ على العناصر المعمارية داخل المعبد. ونحن نعلم أن معبد إيزيس بفيلة قد تم نقله وتجميعه إلي موقعه الحالي على جزيرة أجيليكا عقب بناء السد العالي، حيث كان مغطى بالكامل بالطمي. ولذلك فليس أمامنا إلا أن نعتمد في وصفنا على ما هو قائم بالفعل، مع التأكيد على أن المعبد الحالي هو نفسه المعبد القديم بكل عناصره المعمارية.

خصصت الإدارة الرومانية صالة الأعمدة الموجودة خلف الصرح الثاني لمعبد إيزيس لكي تحولها إلى كنيسة، وهو الجزء المظلل في المخطط المرفق. وبدأت في

1- Nautin: *op. cit.*, pp. 1- 8.

سبيل ذلك بتحويل كافة المعالم بداخلها للتناسب مع معالم كنائس تلك الحقبة التاريخية، وبما يتناسب مع طبيعة المعبد المعمارية. حيث نرى على جانبي المدخل في واجهة الصرح الثاني نقوش بالنحت البارز لصليبين بالطراز اليوناني داخل دائرة، ويتراوح طول الضلع بين ١٩ و٢٠سم[١]. ونحت الصليب أيضاً على جانبي نهاية ردهة مدخل الصالة، ولكنه هذه المرة بحجم أكبر وبنحت غائر، ومنقوش بطرازين مختلفين، فنجد الطراز اليوناني على الجانب الشرقي للمدخل، وهو صليب بارز داخل دائرة غائرة قطرها ٢٥سم، أما الصليب الآخر الموجود على الجانب الغربي فعلى الطراز اللاتيني، بنحت غائر وبحجم أكبر من الصليب المقابل، ارتفاعه ٨٧ سم، وعرضه ٦٥سم[٢].

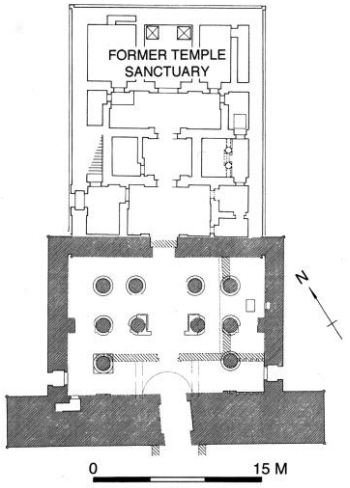

موقع الكنيسة داخل المعبد وهو الجزء المظلل

والمعروف أن الصليب اللاتيني ظهر في مصر في فترة لاحقة على الصليب اليوناني[٣]، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن عملية الإضافات واستخدام المعبد ككنيسة، استمرت لفترات عديدة، وهو تأكيد على ما ورد في النقوش سالفة الذكر.

---

[١]- انظر الملحق رقم ٢.

[٢]- انظر الملحق رقم ٣.

[3]- St. John Chrysostom: "Quod Christus sit Deus", *Opera Omina*, ed. Bernard Montfaucon, Paris, 1739, Repeated Paris, 1835-1839, VI, p. 571.

أما داخل الصالة، فنجد الصلبان محفورة على بعض الأعمدة حيث ظهرت على أربعة أعمدة في وسط الصالة وحفرت بطريقة تسمح بأن يراها كل المتواجدين داخل الصالة، فهي على ارتفاع مستوى الوجه (متر ونصف تقريباً). واللافت للنظر أن هذه الصلبان تتبع الطراز اليوناني، وبرغم ذلك تختلف جميعها في التفاصيل، فكل صليب له سماته المميزة عن الآخر، ثلاثة منها نحتت بالبارز داخل مربع، وبها تنوع في التفاصيل، أما الصليب الرابع فقد نحت نحتاً بارزاً أيضاً ولكن داخل دائرة، وتعلوه زخارف مسيحية دائرية أيضاً[١]. وقد حُفرت الصلبان الأربعة فوق النقوش الهيروغليفية التى تظهر بوضوح بجوار نحت الصلبان، والتى تتراوح أبعادها بين ٢٥-٢٧سم، كما أزيلت الستائر المعمارية الجنوبية من الأعمدة لكي توضع بدلاً منها مقاعد المصلين. أما المحراب فقد حُفر على هيئة كوة داخل الجدار الشرقي من القاعة، ولعلها كانت بديلاً للحنية المستخدمة داخل الكنائس. وظهر الصليب اليوناني محفور فوقه بالنحت البارز داخل قبة مزخرفة ببعض الزخارف النباتية، وقائمة على عمودين قريبي الشبة من العمود اليوناني الأيوني بزخارف حلزونية في بدنه[٢].

ووضعت أمام المحراب كتلة حجرية لكي تستخدم بوصفها مذبح[٣]، وهي كتلة واحدة من الحجر البازلت الأسود، من المعتقد أنها منقولة من قدس الأقداس، أزيلت من عليها النقوش الفرعونية واستبدلت بنحت غائر على واجهتها لصليب بطراز يوناني، داخل دائرة قطرها ٢٩سم. كما أزيلت النقوش والصور الفرعونية من على

[١] انظر الملحق رقم ٤.

[٢] انظر الملحق رقم ٥.

[٣] انظر الملحق رقم ٦.

الجدار الشرقي للقاعة الذي حفر فيه المحراب، ولم يتبق فيه سوى بعض من بقايا نحت مُشوَّه لأرجل الآلهة والملوك[١]، ويجعلنا ذلك نعتقد أن الذي قام بهذا العمل إما أنه لم يستطع إزالة كافة النقوش من على الجدار، أو أنه أراد فقط طمس الجزء الخاص بالمحراب والمرتبط بتقديم الأضحيات وإقامة الصلوات والذي يوجد بطبيعة الحال في مواجهة الجالسين داخل الكنيسة. والناظر للقاعة بصفة عامة، يلاحظ أن معظم النقوش الهيروغليفية قد مُحيت من على معظم جدران هذه الصالة، وما بقي منها شوهت، حيث شوهت الأرجل والأزرع المكشوفة من جسد البشر المصورين.

وعلى هذه الشاكلة شُوَّهت نقوش صور الملوك والآلهة المنحوتة على جدران الردهة المؤدية إلى الصالة المستعرضة الأولى، وكذلك المنحوتة على جدران الصالة المستعرضة نفسها، كما شوهت وجوه وأذرع وأقدام الآلهة والملوك المنحوتة على الجدران الداخلية لقدس الأقداس وكذلك الجدران المحيطة به من الخارج. ويقال أن قدس الأقداس قد أغلق هو والغرف الجانبية المخصصة لرجال الدين، وكل الأبواب المؤدية إليه، وكذا المدخل الجنوبي الشرقي. واستخدم الجزء الجنوبي الغربي من صالة الأعمدة لخدم المعمودية، كما تم عمل ستائر معمارية بين الزوج الشمالي من الأعمدة في صالة الأعمدة الثانية[٢].

كما توجد بعض النقوش الأخرى داخل معبد إيزيس، يمكن تأريخها بفترة تحويل المعبد إلى كنيسة، أو بعد ذلك فترة وجيزة، حيث نجد أسماء يوسف (Ἰωσῆφ)

---

[١]- انظر الملحق رقم ٧.

[2]- Grossmann, P.: "Die Kirche des Bischofs Theodoros im Isis tempel von Philae. Versuch einer Rekonstruktion", *RSO*, 58, 1984, pp. 109-15; Grossmann, P.: *Christliche Architektur in Agypten*, Brill, 2002, p. 47.

وعنايس (Ἄναϊς) المحفوران بالقرب من الصليب المحفور على الجانب الغربي من مدخل الصرح الثاني، المؤدي إلى مدخل الكنيسة[١]، واسم فيكتور(Βίκτωρ) المحفور في سقف المعبد[٢]. كما نجد حرفي الألفا (A) والأوميجا (Ω) بالداخل وهما متجاوران، في إشارة إلى الكلمات المشهورة للمسيح التى تم تداولها في الكتب الدينية، ويقصد بها: "أنا الألفا والأوميجا، والأول والأخير، البداية والنهاية"[٣].

ويذكر أحد الباحثين أن التغييرات الرئيسية الخاصة بتحويل المعبد بدأت أولاً من الداخل، مثل: إزالة العناصر الزائدة التي من شأنها تعكر الصفو داخل الكنيسة، وربط الستائر المعمارية، وكسر المنافذ لزيادة التهوية داخل الحجرة، ومحو كل ملامح الوثنية، والمتمثلة في التصوير البشري للملوك والآلهة. وفي وقت لاحق كانت إزالة النقوش والتصوير من على الجدران الرئيسية للمعبد التي بقيت في مجال رؤية المتعبدين داخل الكنيسة، التي كانت لا تزال مغطاة بالنقوش الهيروغليفية وصور الآلهة والملوك الفراعنة. ويؤكد ذلك أنه لم يكن بوسع جنود نارسيس أن يساعدوا في قطع النقوش مباشرة بعد إغلاق المعبد، لأنهم اضطروا في البداية إلى الانتظار حتى يتم إجراء هذه التعديلات الداخلية[٤]. ولكنهم استبدلوا ذلك بحفر أعداد كبيرة من الصلبان في مناطق متعددة داخل المعبد للتأكيد على تحويل المعبد بالكامل إلى كنيسة.

1- *I. Philae*: Dijkstra, J. H.: "Late Antique Inscriptions from the First Cataract Area Discovered And Rediscovered ", *The Journal of Juristic Papyrology*, vol. XXXIII, 2003, II, 230.

2- *I. Philae:* II, 233.

3 - *I. Philae*: II, 241-2 "A ☩ Ω".

4- Grossmann: *Die Kirche des Bischofs Theodoros*, 107-17, 109-10.

ولكن يبدو أن مهمة تحويل المعبد بالكامل وإزالة النقوش هذه لم تكتمل، حيث نرى أن عملية تشويه النقوش من على واجهة المعبد لم تظهر إلا على الجزء الغربي من الصرحين الأول والثاني، وبقي الجزء الشرقي منها كما هو حتى الآن[١]، ذلك بالإضافة إلى نقوش بيت الولادة في الصالة المكشوفة المقابلة للصالة الثانية وغيرها من النقوش الهيروغليفية المنتشرة داخل المعبد. ولا نعلم السبب الحقيقي وراء ترك هذه النقوش دونما تشويه، وعلى ذلك فأعتقد أن السبب وراء هذا كان التكلفة العالية التى تتطلبها عملية الطمس –المال والجهد، أو أنهم اكتفوا بهذا العمل الرمزي دليلاً على انتهاء الوثنية.

ويجب أن نشير هنا إلى أن نقوش الصليب على معبد إيزيس في فيلة لم تقتصر على الصرح الثاني الذي حوى بداخله الكنيسة، بل امتدت نقوش الصليب اليوناني البارز إلى أكثر من مكان داخل المعبد وملحقاته، فنجد الصليب على جانبي المدخل في واجهة الصرح الأول، وهي علي نسق صلبان واجهة الصرح الثاني، – نقوش يونانية داخل دائرة– وكذا على جانبي مداخل بعض الحجرات الداخلية والملحقة بالمعبد، وعلى واجهة المدخل الشرقي[٢]، واللافت للنظر أن جميعها بالحجم والارتفاع نفسه، وكأنها قوالب مخصصة لمثل هذا الغرض، حتى أن الأمر لم يقتصر على معبد إيزيس فقط بل إمتد إلى جدران الأبنية الموجودة علي الجزيرة ككل، مثل معبد حتحور ومعابد أخرى خارج الجزيرة سوف نتحدث عنها في وقت لاحق. وهذا ما يجعلنا نعتقد، أن المعبد استخدم كلياً لأغراض دينية مسيحية، منها: لإقامة الشعائر

[١]– انظر الملحق رقم ٨.

[٢]– انظر الملحق رقم ٩.

والصلوات والتعميد، برغم أننا لن نعثر على أحواض التعميد، وربما استخدموا في ذلك أحواض متنقلة، ومنها لباقي الأعمال المرتبطة بالكنيسة.

وفي الختام هنا أود أن أشير إلى أن أهمية معبد إيزيس في منطقة النوبة هي ما دفعت الرومان، عندما قرروا تحويله إلى كنيسة، أن يحولوه على عدة مراحل. ويبدو أن هذا الأجراء اتبعته الإدارة الرومانية في بعض الولايات الأخرى التى كانت بها معابد تتمتع بمكانة كبيرة في نفوس السكان، ولدينا بعض النماذج من هذه المعابد التى تحولت إلى كنائس، ومرت أيضاً بعدة مراحل.

ففي قرطاج (Carthage) نجد معبد كايليستيس (Caelestis) الذي تعرض لأعمال تشويه مسيحية في عام ٣٩٩ م، ولكنه برغم ذلك ظل مفتوحاً تمارس فيه الطقوس الدينية لآلهة قرطاج القديمة فترة عشرين سنة أخرى حتى عام ٤٢٠ م. حتى قام التريبون أورسوس (Ursus) بإغلاق المعبد بسبب الممارسات الوثنية التى كانت ما تزال تمارس فيه، وتحول بالفعل إلى كنيسة في العام نفسه[١]. أما في قوريني، فبعد انتشار المسيحية، أُصيبت المعابد هناك بفعل زلزال قوي ضرب المدينة عام ٣٦٥م، وتضررت معابد ديمتر (Demeter) وبيرسيفوني (Persephone)، ولكنه تم منع أعمال الترميم فيهما، حيث استخدمها المسيحيين في طقوس عباداتهم[٢]. ويقال أن معبد البارثينون (Parthenon) اليوناني تحول إلى كنيسة، على مرحلتين[٣].

---

[1]- Ruth E. D.: *Temple Conversion and Cultural, Ritual and Topographic Memory in Alexandria, Cyrene and Carthage*, University of Birmingham, April, 2013, p. 49.

[2] - Ruth.: *op. cit.*: p. 34.

[3]- Mango, C.: "The Conversion of the Parthenon into a Church: The Tübingen Theosophy", *Δελτίον της Χριστιανικής Αρχαιολογικής Εταιρείας*, vol. 36, 1995, pp. 201-202.

ويمكن القول، أن تحويل معبد إيزيس في فيلة إلى كنيسة، بداية من منتصف القرن السادس الميلادي، كان بداية تحويل بعض معابد أخرى على الجزيرة نفسها. مثل معبد حرندوتيس.

رابعاً: معبد (حرندوتيس)

يُذكر أنه قبل وبعد تحويل معبد إيزيس إلى كنيسة، بنيت عدة كنائس على جزيرة فيلة، مما حولها في القرن السادس الميلادي إلى مدينة كنسية كاملة، ومن أشهر هذه الكنائس، ما ورد لدى بعض الكتّاب عن كنيستين شرقية وغربية، وذكروا أنها بنيت من بقايا أحجار معابد متهدمة، وذكر أحدهم أن الكنيسة الغربية مفقودة وغير موجودة الآن، وأنها بنيت على أنقاض معبد حرندوتيس، وتشبه في عناصرها المعمارية وطرازها كنيسة القديس استيفن التى أنشأت داخل معبد إيزيس(١).

وحرندوتيس (Ηαρενδοτης) هو الإسم اليوناني للمعبد، وهي في المصرية القديمة حر ند جت (*Ḥr-n ḏd -jt=f*) وتعني "حورس الذي يحمي والده"، أو "حورس الحامي" أو "المنتقم من أجل والده"، وهو شكل من أشكال "حورس الأكبر"(٢). ويظهر من الإسم أن المعبد خصص لعبادة الإله المصري حورس، ويقع إلى الجنوب من بوابة هادريان على الجانب الشمالي الغربي من الجزيرة، وهو معبد مدمر بالكامل، بناه الإمبراطور الروماني كلاوديوس (Claudius) (٤١-٥٤ م)، وأغلب الظن أن تاريخ بناء المعبد يرجع إلى ما بين عامي ٥٠-٥٤ م(٣). ولم يتبق من آثار المعبد

1- Chester, G. J.: "The Early Christian Church at Philae", *The Academy. A Weekly Review of Literature, Science, and Art*, 21, 1882, pp. 107-8.
2- Porter, Moss: *op. cit.*, p. 254.
3 - Arnold, D.: *Temples of the last Pharaohs*, New York, 1999, p. 252.

سوى بعض مداميك البناء المتناثرة بجواره وعلى حافة الجدار الخارجي، وكذا أرضية المعبد التي ترتفع عن مستوى سطح الأرض مسافة ثلاثة أقدام على الأكثر، وبقايا سلالم متآكلة من جهة الشرق تؤدي إلى أرضية فناء المعبد[١]، ونتعرف على شكل المعبد من خلال مخطط الأرضية، الذي يعطينا تصور للمعبد القديم، وهو بسيط في تصميمه ومكون من صالة مكشوفة تؤدي إلى ممر داخلي مستطيل الشكل يفتح على أربعة غرف على جوانب المعبد، وفي منتصف المعبد يوجد قدس الأقداس[٢].

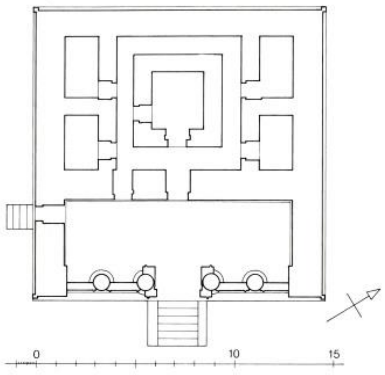

مخطط معبد حرندوتيس

أما بخصوص الكنيسة، فقد تهدمت بالكامل وغير موجودة الآن، والظاهر من المخلفات الأثرية أنها استخدمت في بنائها أحجار من معبد حرندوتيس المتهدم، ولكننا لم نستطع أن نحدد ارتفاعها. ويُعتقد أنها كانت معاصرة للكنيسة الشرقية التى ورد ذكرها في المصادر ولدى علماء الآثار [٣]. وتخطيط الكنيسة طبقاً للمتبقي من أرضية

[١] - انظر الملحق رقم ١٠.

[2] Porter, Moss: *op. cit.*, p. 254.

[3] Chester: *op. cit.*, p. 108.

المعبد يغلب عليها البساطة، وأغلب الظن أنها من الطراز الثلاثي لكنائس القرن الخامس الميلادي، فهي مكونة من ثلاثة ممرات داخل المعبد[١]، كما عُثر على مذبح من الجرانيت الأسود المنحوت من قطعة واحدة من الحجر كان معداً لكي يوضع فيه طائر أو حيوان مقدس لإهدائه إلى إيزيس من قبل الملك بطلميوس الثامن، وقد تم اكتشافه موضوعاً جانباً بين حطام الكنيسة القبطية في فيلة، حيث استخدم كقاعدة للمذبح[٢].

ويحدثنا أحد الأثريين أنه عُثر على نفش قبطي في الشارع الغربي من الكنيسة التى بنيت على معبد حرندوتيس، وهو منقوش على كتلة حجرية عليها نحت قرص الشمس الفرعوني على أحد وجهيها، ونُحت على الوجه الآخر نقش قبطي، يرجع إلى ١٧ ديسمبر عام ٧٥٢ م[٣]، نقرأ فيه:

باسم الآب والإبن والروح القدس، في اليوم الحادي والعشرين من شهر كيهك، العام ٤٦٩ من حكم دقلديانوس[٤].

---

[1]-Grossmann, P.: *Mittelalterliche Langhauskuppelkirchen und verwandte Typen in Oberägypten, Eine Studie zum mittelalterlichen Kirchenbau in Ägypten*, Glückstadt, 1982, p. 105.

يوجد طرازين شائعين لتصمم الكنائس قديماً، الطراز الثلاثي، ذو الثلاث ممرات، وهي كنائس صغيرة نسبياً. والطراز الخماسي، ذو الخمس ممرات، وهي غالباً كانت في الكنائس الإمبراطورية.

López: *op. cit*, p. 129.

[٢]- آلان بومان: *المرجع السابق*، ص ٣٣٦، انظر الملحق رقم ١١.

[3]-Lyons H. G.: *A Report on the Island and Temples of Philae*, London, 1896, p. 32.

[٤]- هو التقويم الذي وضعته الكنيسة الارثوذكسية في الاسكندرية، بداية من حكم الإمبراطور دقليديانوس، تخليداً لذكرى شهداء المسيحية على يده، ويسمى الآن تقويم الشهداء.

بمشيئة الله، ومن خلال رعاية وحماسة الأخ المحب للرب، تم تأسيس مكان العمل هذا على يد السيد يوسف ابن ديوس المبارك. وهو تبرع من أجل سيدتنا جميعًا، القديسة ماريا ثيوتوكوس (Marie Theotokos)، في فيلة، في السنة الثانية من بطريركية أبينا، أبا سيفيروس (Severus) حبيب الرب. رعاه الرب هو وأولاده وكل أهل منزله. ورحمه مباركة على زوجته نيمفي (Nymphe). أمين، فليكن[١].

ويفسر ناشر النقش أن استخدام اسم ماريا ثيوتوكوس الوارد في النقش، وهو لقب السيدة العذراء في المسيحية، ويعني والدة الإله، هو استبدال الإلهة إيزيس وابنها حورس بالسيدة مريم العذراء وابنها السيد المسيح. ويقدم قرينة على ذلك تاريخ النقش الذي يرجع إلى شهر كيهك، وهو شهر الاحتفال بعيد الإلهة إيزيس في فيلة، وكأن صاحب النقش تعمد إقامة هذا النقش ليجعل الاحتفال يخص السيدة مريم العذراء بدلاً من إيزيس التى كانت مهيمنة على فيلة وما زالت في نفوس بعض الناس[٢]. وبالتالي أعتقد أنهم أرادوا أن يقضوا تماماً على كل ما يرتبط بإيزيس على الجزيرة.

ونفهم من هذا النقش، الذي يرجع إلى عام ٧٥٢ م، أن أعمال الاضافات وإنشاء الكنائس على جزيرة فيلة ظلت مستمرة حتى بعد الفتح العربي، مما يعني أن المسيحية ظلت متواجدة في جنوب مصر وتمارس طقوسها بحرية، وأن بناء الكنائس استمر حتى بعد دخول العرب المسلمين بأكثر من مائة عام، وهذا يؤكد على أن

1- Grossmann: *Christliche Architektur*, p. 465.

لم يعد النقش موجوداً الآن.

2- Dijkstra: *Religious encounters*, p. 168.

سياسة التسامح الديني التى كانت تمارس في مصر بين الأديان، وأن ما حدث في فيلة كان عملاً سياسياً أكثر منه ديني.

خامساً: معبد حتحور

يقع معبد حتحور نحو الشرق من معبد إيزيس، ويرجع بنائه إلى عهد الملك بطلميوس السادس واستكملت مبانيه في عهد الملك بطلميوس الثامن، وطرأت عليه اضافات في زمن الإمبراطور أغسطس. وكُرس هذا المعبد لعبادة الإلهة حتحور، ويوجد نقش على أحد جدرانه يشير إلى أن الملك بطلميوس الثامن وزوجته كليوباترا قد أهدوا هذا المعبد إلى الإلهة أفروديت[١].

يتكون المعبد من صالة مكشوفة ودهليز أمامي وعدد من الحجرات، وكان لصالة الأعمدة ستة أعمدة علي جانبيها وستائر معمارية تصل فيما بينها. ويوجد بابين علي جانبي الصالة[٢].

أما بخصوص التواجد المسيحي داخل هذا المعبد، فقد لاحظ الباحث بعض الصلبان المحفورة على واجهة صالة الأعمدة تتشابه مع الصلبان المحفورة على واجهة معبد ايزيس، وبالمقاسات نفسها، مما يجعلنا نعتقد أن النقوش المسيحية هذه تمت في الفترة التاريخية نفسها التى تحول فيها معبد إيزيس لكنيسة. مما يجعلنا نعتقد أن هذا

---

[1] - Bernard, E.: *Les Inscriptions grecques et latines de Philae: Haut et Bas Empire*, vol. 2, Paris, 1969, p. 153.

أفروديت هي حتحور في الفكر الديني المصري في العصر البطلمي.

[٢]- عزت قادوس: *المرجع السابق*، ص ٤٣٠، الملحق رقم ١٢.

المعبد بقى على حاله وتمارس فيه طقوس العبادة إلى أن بدأت أعمال تحويل معابد جزيرة فيلة.

ولكن السؤال المهم هنا: هل تحول معبد حتحور إلى كنيسة؟ أغلب الظن أن هذا المعبد لم يتحول إلى كنيسة، فالصلبان المحفورة على واجهة صالة الأعمدة لا تقم كدليل دامغ على التحويل، فظهور الصليب يعني بالمقام الأول اثبات علو شأن المسيحية، وأن عبادة الآلهة المصرية قد توقفت وحل محلها المسيحية. أما التحويل إلى كنيسة فلابد أن يصاحبه وجود حنية ومحراب وصالة لإقامة الشعائر المسيحية بداخله. وهذا ما لم نجده داخل هذا المعبد. فنقوش وزخارف المعبد لازالت موجودة ولم تمحى، حيث نرى نقوش المعبودة حتحور والطقوس الدينية المرتبطة بها على الجدران الداخلية[١].

سادساً: نقوش مسيحية أخرى

بالإضافة إلى عملية تحويل المعابد إلى كنائس داخل جزيرة فيلة التى سبق مناقشتها، تم العثور على بعض النقوش المسيحية الأخرى التى انتشرت في أرجاء الجزيرة، والمتناثرة على أحجار المعابد المصرية، بعضها داخل المعابد، وبعضها الآخر على كتل حجرية بجوارها. ذلك بالإضافة للنقوش التي عُثر عليها في جدران الكنيسة الشرقية الكبيرة التى بنيت على الجزيرة في القرن السادس أو السابع الميلاديين[٢]، ويقال أن هذه الكنيسة كانت كبيرة الحجم وتقع بين أربعة شوارع، ولكنها دمرت وبقاياها مازالت تحت الماء، ولم يبق منها غير بعض النقوش التذكارية على

---

[١] - جيمس بيكي: *المرجع السابق*، ج ٥، ص ١٢٣.

[2]- Jakobielski, S.: *A History of the Bishophric of Pachoras*, Warsaw, 1972, pp. 190-201.

كتل حجرية نشرها أحد الباحثين في مذكراته، وهي نقوش أسماء فقط لبعض المسيحيين، لكنها كتبت بشكل جيد ورسمت بحروف حمراء، ويعتقد أنها أسماء لأساقفة في فيلة، ومنها أربعة أسماء: ماركوس، ومقدونيوس، وثيودوروس وسيفروس[١]، ولسوء الحظ أنها غير موجودة الآن. ويوجد على أحد جدران الكنيسة المُتهدِّمة، نقش شبيه بذلك الموجود في كنيسة القديس ستيفن، وكان محفورًا على الجدار الخارجي: "أنا عبد زكريا" ἐγὼ ☩ Ζαχαρίας δοῦλος[٢].

أما بخصوص النقوش الموجودة على جدران معابد الجزيرة، فنجد على الجدار الجنوبي من حرم معبد إيزيس، وعلى الجدار الغربي من داخل الصالة الثانية منه، أسماء لثمانية زوار نحتوا أسمائهم هناك، وتبدأ كل النقوش بكلمة (ἐγὼ) (أنا) متبوعة باسم الزائر، وفي بعض الأحيان يتم إضافة صليب إلى النقش، وذكر بعضهم صراحة أنه من أصل نوبي (Νουβα)، وخمسة منهم بأسماء مسيحية خالصة، وثلاثة يحملون أسماء غير مسيحية مثل: ديوسكوروس (Dioskoros) وثيودوسيوس (Theodosios) ولكنها أسماء اشتهرت في مصر إبان العصر الروماني، ويعتقد أنهما كانا بطاركة[٣]. كما يوجد بالقرب من معبد أريسنوفيس (Arensnuphis)[٤]،

1- Dijkstra: *Late Antique Inscriptions*, pp. 56-59; Cf.: Jakobielski: *op. cit.*, pp.190-201.

2- *I. Philae*: II, 239.

3- Nautin: *op. cit.*, pp.32-33.

٤- الإله أريسنوفيس، في المصرية القديمة (*ỉrỉ-ḥms-nfr*) وهو إله الصحبة، من مملكة كوش في النوبة القديمة، صور كأسد أو انسان على رأسه ريش، انتشرت عبادته بشكل كبير من القرن الثالث ق.م؛ محمود حسن محمد، مفيدة حسن الوشاحي: "دراسة علاقة المعبود إرنسنوفيس

نقش يشير إلى فيكتور، ابن باولوس Βίκ(τωρ) Παῦλος وبجواره الصليب[١]. وأمام المعبد نفسه جزء من لوحة عليها نقش إهداء إلى السيد المسيح، ويقرأ: "يسوع المسيح، يارب، تذكر الشهيد ميناس"[٢]. وفي بقايا معبد إمحوتب (Imhotep) الصغير جنوبي معبد إيزيس، نقش بإسم أحد الشمامسة ويدعى بيتيسيس الشماس (☩ Πετεῆσις διάκ(ονος))[٣]، ويوجد على حجر بالقرب من معبد حتحور، نقش عليه كلمة بريسبيتيروس (πρεσβίτερος ☩)، ولا نعلم إن كانت هذه الكلمة سابقة لاسم أحد رجال الدين والاسم مفقود، أم أنها كتبت مفردة بهذا الشكل، وبخاصة أن هذه الكلمة تطلق على الكاهن بدرجة قس في المسيحية presbyter.

ولدينا نقوش أخرى متناثرة على بعض المنشآت أو على أحجار داخل الجزيرة، ربما كانت بقايا من كنائس متهدمة، ففي شمالي الجزيرة، نجد نقشين مسيحيين بالقرب من نحت لصليب يوناني، على بوابة دقليديانوس، يذكر الأول: "أبا/الأب مكاريوس Ἄπα Μακάριος وبطرس Πέτρος المحبان ليسوع" . Ἄπα Μακάριος καὶ Πέτρος Ἰασίου,Φιλῶν[٤]. أما النقش الآخر، فهو نحت لصليب وتاج وفرع من سعف النخيل مع بعض الكتابات الأخرى مثل: "الكاهن باخوت بن إبيفانيوس" Παχὼτ Πρῆς Ἐπιφάνιος[٥].

بالآلهة الأخرى في معبد دندور"، *حولية اتحاد الآثاريين العرب: دراسات في آثار الوطن العربي*، عدد ٢٣، ٢٠٢٠، ص ٣٣٢ وما بعدها.

1- *I. Philae*: II, 236.

2 *I. Philae*: II, 244 "[Ἰ](ησοῦ)ς Χ(ριστό)ς. Κύριε [μνήσθητι Μη]νᾶ μάρτ[υρος].

3- *I. Philae*: II, 235.

4- *I. Philae*: II, 237.

5- *I. Philae*: II, 238.

أما في الجهة الجنوبية من الجزيرة، فنجد نقش داخل الرواق الغربي، فيما يلي نصه:

"τὸ προσκύν|ημα Κα<λά>σιρις Πα̣τενουε ☩ Παν̣αχᾶτις ὁ πατὴρ Καλάρις"[1]

وترجمتها هي:

"هذا قربان كالاساريس/ من باتينوي؟ باناخاتيس والد كالاساريس".

ويعتقد ناشر النقش أن الأسماء الواردة فيه تجعلنا نعتقد أنها ترجع إلى فترة ما قبل القرن السادس الميلادي، أي في وقت التعايش السلمي بين المسيحيين وعبدة الآلهة المصرية القديمة، حيث إن صيغة النقش مشابهة تماماً لصغية الحجاج اليونانيين الذين زاروا الجزيرة من أجل الآلهة المصرية، وقد أُضيف إليها هنا فقط الصليب[٢].

وقد شاهد الباحث كثير من النقوش المسيحية بجوار بعض الصلبان، المتناثرة على جدران معظم المنشآت الدينية هناك، مثل معبد حتحور وبوابة تراجان وغيرهما، وأهم ما يميزها هو أنها نقوش تذكارية لأسماء بعض رجال الدين أو المسيحيين من الذين زاروا المنطقة ليحجوا إلى كنائسها، أو كانوا يعيشون على الجزيرة في القرون من السادس وحتى بعد دخول المسلمين مصر. والملاحظة الثانية على هذه النقوش هو الصليب المصاحب لمعظمها.

1- *I. Philae*: II, 234.
2- Dijkstra: *Religious encounters*, p. 179.

الخاتمة:

ونخلص من ذلك كله إلى أن معابد فيلة، قد أتخذت طابعاً مسيحياً وتحولت إلى أماكن عبادة مسيحية، إما بتحويل جزء منها إلى كنيسة مثلما حدث في معبد إيزيس الذي تحولت الصالة الثانية فيه إلى كنيسة بالكامل، أو معبد حرندوتيس، الذي هدم وتحول إلى كنيسة، أو حتى المعابد الأخرى التى لم تخل من العبارات التذكارية التى تركها الزوار المسيحيين على جدرانها، مثل معبد حتحور ومعبد أرسينوفيس ومعبد إيمحوتب، بالإضافة إلى بعض النقوش على بعض الأحجار المتناثرة بجوار المعابد.

كما يحدثنا بعض الباحثين عن أن كثير من الكنائس بنيت على جزيرة فيلة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين، بمساحات مختلفة، مما يفيد بأن جزيرة فيلة تحولت بالكامل إلى مجمع كنسي كبير، كذلك فإنه يذكر أن هناك كنائس غير محددة العدد بنيت من الطوب اللبن على الجزيرة، وتم الكشف عن بقايا الحنيات والمحاريب الكنسية الخاصة ببعضها عام ١٨٩٥م. ولكنها اختفت الآن[١]، وقد عُثر بعض الكتل الحجرية المتناثرة شمالي الجزيرة التى أُعتقد أنها بقايا كنائس، كما ورد في بعض الخرائط الأثرية لجزيرة فيلة مخطط موضح عليه تصور لموقع كنيستين شمالي الجزيرة. وفيما يلي إحدى هذه الخرائط.

[١]- جيمس بيكي: *المرجع السابق*، ج ٥، ص ٤١.

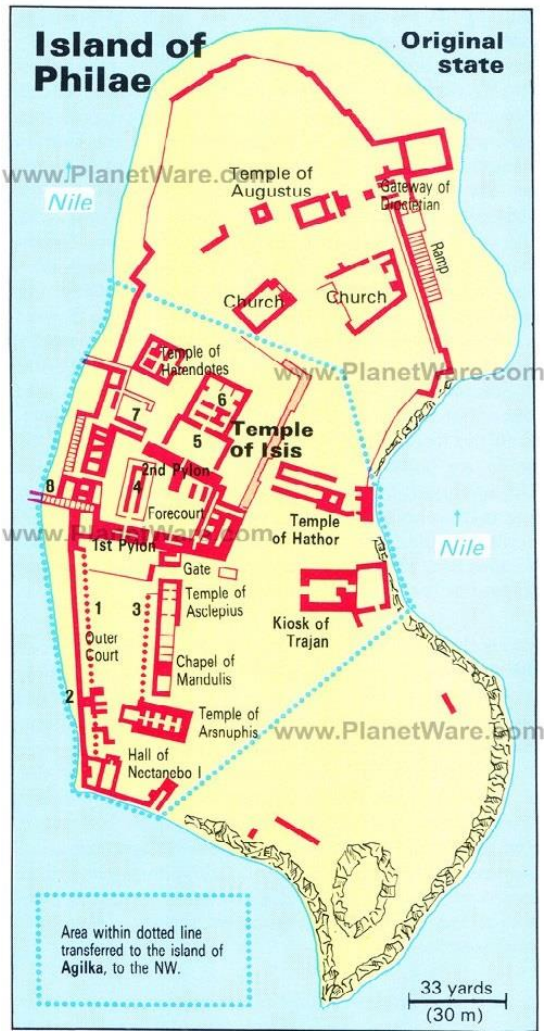

والواضح من الخريطة أنها تصور لشكل الجزيرة والمنشأت المبنية عليها قبل أن تنقل إلى الموقع الحالي، ومبين عليها مخطط لكنيستين في جهة الشمال، ولكن بعض الخرائط الأخرى أوضحت أن أحد هذه المباني كانت كنيسة والآخر –وهو الذي كان يقع خلف معبد إيزيس مباشرة– كان معبد قديم. وأيًا كان الأمر، فالمهم أن لدينا بقايا كنيسة واحدة على الأقل كنت مبنية شمال الجزيرة، ولكنها غير موجودة الآن.

ويعتقد الباحث أن مرجع ذلك إلى أن فيلة لم تكن تقل من حيث الأهمية عن مدينة الإسكندرية، فهي بوابة مصر الجنوبية المفتوحة على كل النوبة وأفريقيا، وهي المسيطرة على خطوط التجارة الجنوبية، ولها تاريخ طويل في مقاومة الحكومة في الاسكندرية، منذ عهد الملك بطلميوس الخامس، عندما قرروا الاستقلال عن البطالمة لمدة ٢٠ سنة، في زمن الأخوين (حر ون نفر وعنخ ون نفر). وكان كهنة فيلة يسيطرون على كل النوبة عبر قرون العصرين اليوناني والروماني، ولذلك كان من الضروري التخلص من سيطرة الكهنة هذه. وكانت الديانة المسيحية هي البديل الطبيعي للديانات المصرية القديمة في النوبة، فكثرت الرحلات التبشيرية إليها ووصلت أوجها في القرن الخامس الميلادي. وعندما واجهت القبائل الجنوبية، وبخاصة قبائل البليميين، انتشار المسيحية، ودخلت في حروب مع الحكومة الرومانية، كانت معابد فيلة هي أحد الأسلحة التى استخدمها الرومان في حرب القبائل البليمية المتمسكة بديانتها القديمة والتى كانت تتردد على فيلة. وهكذا كان قرار غلق معبد الإلهة إيزيس فيما بين أعوام ٥٣٥-٥٣٧ م، ثم تحويله إلى كنيسة عام ٥٦٧م.، ومن ثم تبعه التواجد المسيحي في الجزيرة كلها.

الملاحق

الملحق رقم ١

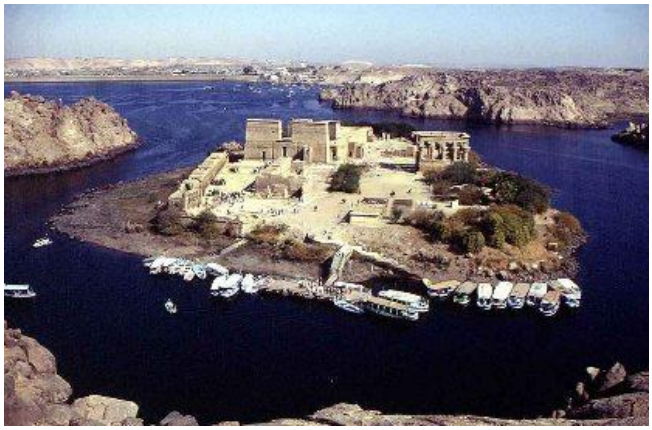

صورة حديثة لجزيرة فيلة موضحاً عليها المنشآت الأثرية الحالية

الملحق رقم ٢

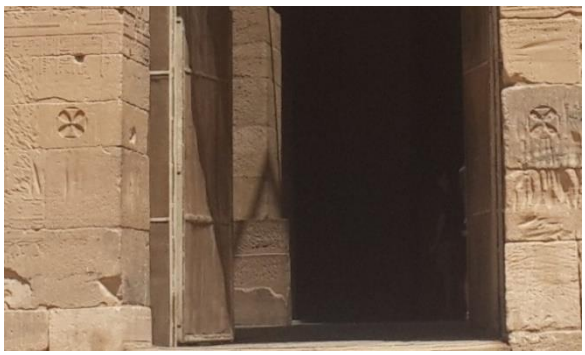

الصلبان اليونانية على واجهة الصرح الثاني لمعبد إيزيس

تصوير الباحث

الملحق رقم ٣

صليبان على جانبي مدخل الكنيسة

الصليب اليوناني على الجانب الأيمن والصليب اللاتيني على الجانب الأيسر

تصوير الباحث

الملحق رقم ٤

أربعة صلبان محفورة على أعمدة القاعة المخصصة للكنيسة

تصوير الباحث

الملحق رقم ٥

نحت المحراب والحنية المنحوت بداخلها الصليب وبعض الذخارف المسيحية

تصوير الباحث

الملحق رقم ٦

مذبح ومحراب الكنيسة

تصوير الباحث

الملحق رقم ٧

صورة توضح أعمال إزالة النقوش والصور الفرعونية على جدار المحراب

تصوير الباحث

الملحق رقم ٨

واجهة الصرح الثاني لمعبد إيزيس

تصوير الباحث

الملحق رقم ٩

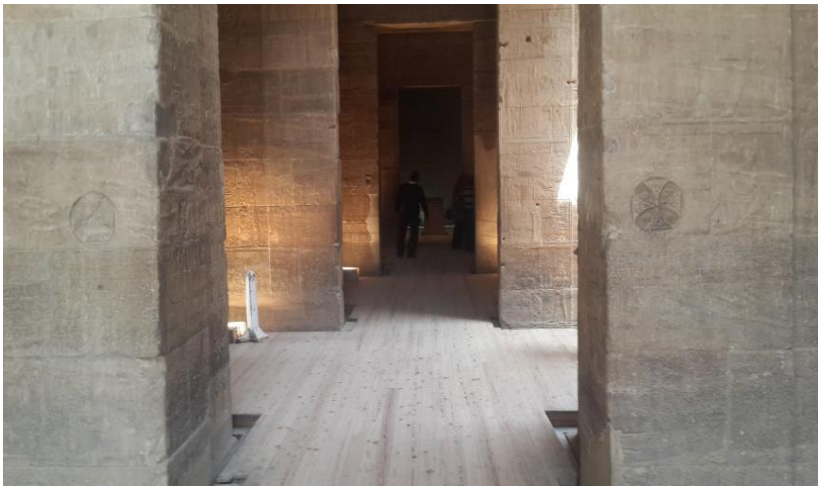

صلبان على واجهة الصرح الأول والحجرات الداخلية

تصوير الباحث

الملحق رقم ١٠

معبد حرندوتيس

تصوير الباحث

الملحق رقم ١٢

مذبح جرانيت من عصر بطلميوس الثامن

آلان بومان: *المرجع السابق*، ص ٣٣٦.

الملحق رقم ١٢

معبد حتحور فيلة

Abstract:

This research examines the Christian presence in Philae Island's temples during the late Roman era. The island features numerous inscriptions, crosses, Christian symbols, and church remnants. By analyzing these symbols and their historical context, this research reveals deliberate acts with significant implications for understanding the paganism-Christianity dynamic in Philae during this period. The study provides an archaeological overview of Philae, tracing Christianity's emergence on the island and the Temple of Isis's conversion into a church. It explores the transformation stages, describing the church's features and modifications made for Christian worship. Further discussion includes the construction of a church on the Temple of Harendotes, crosses on the Temple of Hathor's walls, and other Christian inscriptions on the island.

Key words:

Christianity- paganism- Philae- church- temple- Roman era- Isis- Hathor.

قائمة المصادر والمراجع

أ: المصادر البردية والكلاسيكية

1- I. Philae: Dijkstra, J. H.: "Late Antique Inscriptions from the First Cataract Area Discovered And Rediscovered", *The Journal of Juristic Papyrology*, vol. XXXIII, 2003.

1- I. Philae II: *Les inscriptions grecques et latines de Philae. Tome II: Haut et Bas Empire*, ed. Bernand É., Paris, 1969.

2- P. Cair. Masp.: Maspero J., *Papyrus grecs d'époque byzantine,* Tome I, Cairo, 1911.

3- P. Oxy.: *The Oxyhrynchus Papyri*, Egypt Exploration Fund, ed. By Geenfell B.P., Hunt, A. and Others, 1898 ff.

4- SB: *Sammelbuch griechischer Urkunden aus Aegypten*, ed. by Preisigke F., Bilabel F., E. Kiessling, and H.-A. Rupprecht, Strassburg-Berlin-Leipzig-Heidelberg-Wiesbaden, 1915 ff.

5- Procopius: *History of Wars*, Trans. by H.B. Dewing, L.C.L., London, 1961.

6- St. John Chrysostom: "Quod Christus sit Deus", *Opera Omina*, ed. Bernard Montfaucon, Paris, 1739. Repeated Paris, 1835-1839.

ب: مراجع باللغة العربية -7

١- آلان بومان: *مصر ما بعد الفراعنة، من الإسكندر إلى الفتح العربي*، ترجمة السيد جاد والسيد رشدي ورضا رسلان، الإسكندرية، ٢٠١٢.

٢- السيد محمد عمار: العلاقات بين مصر وبلاد النوبة خلال العصرين البطلمي والروماني، *رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية اللغة العربية*، جامعة الأزهر، ٢٠١٢.

٣- جيمس بيكي: *الآثار المصرية في وادي النيل*، ترجمة شفيق فريد ولبيب حبشي، القاهرة، ١٩٨٧.

٤- صلاح السيد عبد العال: "أثر مشروعات المياه على الآثار المصرية معبد فيله نموذجًا"، مجلة كلية الآداب- جامعة المنصورة، عدد ٦١، أغسطس ٢٠١٧.

٥- عزت قادوس: *آثار مصر في العصرين اليوناني والروماني*، الإسكندرية، ٢٠٠٥.

٦- لُكلان، ج.: *إمبراطورية كوش، نباتا ومروي، تاريخ أفريقيا العام*، المجلد الثاني، حضارات أفريقيا القديمة، اليونسكو، ١٩٨٥.

٧- محمود حسن محمد، مفيدة حسن الوشاحي: "دراسة علاقة المعبود إرنسنوفيس بالآلهة الأخرى في معبد دندور"، *حولية اتحاد الآثاريين العرب: دراسات في آثار الوطن العربي*، عدد ٢٣، ٢٠٢٠.

٨- مصطفى العبادي: "الحدود الجنوبية لمصر في العصرين البطلمي والروماني بين التأمين والمصالح الاقتصادية *والدبلوماسية* الدينية، الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ"، *أعمال ندوة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالأشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة (٢٠-٢١ ديسمبر ١٩٩٧)*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.

٩- ملاك فكري: النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة في مصر في العصر الروماني المتأخر، *رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب-جامعة بنها*، ٢٠١٢.

ج: مراجع بلغات أجنبية

1- Arnold, D.: *Temples of the last Pharaohs*, New York, 1999.

2- Bagnall, R. S.: *Egypt in Late Antiquity*, Princeton University Press, 1996.

3- Baumeister, T.: "Das Stephanuspatrozinium der Kirche im ehemaligen Isis-Tempel von Philä", *RQA*, 81, 1986.

4- Bernard, E.: *Les Inscriptions grecques et latines de Philae: Haut et Bas Empire*, vol. 2, Paris, 1969.

5- Chester, G. J.: "The Early Christian Church at Philae", *the Academy. A Weekly Review of Literature, Science, and Art*, 21, 1882.

6- Clarysse, W.: "The Great Revolt of the Egyptians (205-186 BC)", *UC Berkeley*, 2004.

7- Dijkstra, J. H.: "A World Full of the Word. The Biblical Learning of Dioscorus', in *Learned Antiquity: Scholarship and Society in the Near East, the Greco-Roman World, and the Early Medieval West*, eds. MacDonald, A.A., Twomey, M.W.,Reinink, G.J., Leuven, 2003.

8- _____:"A Cult of Isis at Philae after Justinian? Reconsidering P.Cair.Masp. I 67004", *ZPE*, 146, 2004.

9- _____: *Religious encounters on the southern Egyptian frontier in Late Antiquity (AD 298-642)*, University of Groningen, 2005.

10- Fournet, J.: "Entre document et littérature: la pétition dans l'Antiquité tardive", in *La pétition à Byzance*, ed. Feissel, D., Gascou, J., Centre de Recherche d'Histoire et Civilisation de Byzance, Monographies, 14, Paris, 2004.

11- Gregory, T. E.: "Anastasios I", *The Oxford Dictionary of Byzantium*, ed. Kazhdan Alexander, Oxford, 1991.

12- Grossmann, P.: *Mittelalterliche Langhauskuppelkirchen und verwandte Typen in Oberägypten, Eine Studie zum mittelalterlichen Kirchenbau in Ägypten*, Glückstadt, 1982.

13- _____: 'Die Kirche des Bischofs Theodoros im Isis tempel von Philae. Versuch einer Rekonstruktion', *RSO*, 58, 1984.

14- _____: *Christliche Architektur in Agypten*, Brill, 2002.

15- Jakobielski S.: *A History of the Bishophric of Pachoras*, Warsaw, 1972.

16- López, A.G.: *Shenoute of Atripe and the Uses of Poverty*, ProQuest, Ann Arbor, 2010.

17- Lyons H. G.: *A Report on the Island and Temples of Philae,* London, 1896.

18- Mango, C.: "The Conversion of the Parthenon into a Church: The Tübingen Theosophy", *Δελτίον της Χριστιανικής Αρχαιολογικής Εταιρείας*, vol. 36, 1995.

19- Manning, J. G.: Revolts under the Ptolemies: A Paleoclimatological Perspective‖, *in Revolt and Resistance in the Ancient Classical World and the Near East*, Edited by Collins, J. J. & Manning, J. G., Leiden, Boston, 2016.

20- Nautin P.: "La conversion du temple de Philæ en église chrétienne", *Cahiers archéologiques*, 17, 1967.

21- O'Neil, J. L.: "The Native Revolt against the Ptolemies (206-185 BC): Achievements and Limitations, *Chronique d'Egypte*, 87, Issue 173, 2012.

22- Porter, D., Moss, R.: *Topographical, Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs, and Paintings, VI, Upper Egypt*, Oxford, 1991.

23- Ruth E. D.: *Temple Conversion and Cultural, Ritual and Topographic Memory in Alexandria, Cyrene and Carthage*, University of Birmingham, April, 2013.

24- Säve-Söderbergh, T.: *Temples and Tombs of Ancient Nubia. The International Rescue Campaign at Abu Simbel, Philae and Other Sites*, London, 1987.

25- Weigall, A.E.P.: *A Report on the Antiquities of Lower Nubia,* Oxford, 1907.